

## بلاد آشور في عصر فجر السلالات

# إن

من الصعوبة للدارس لحضارة وادي الرافدين أن يفصل التاريخ الآشوري عن التاريخ العام لهذه الحضارة، نظراً للتماثل الكبير بين مختلف المظاهر الحضارية لهذا البلد. لكن دراسة الحقبة المبكرة في تاريخ آشور تشكل ضرورة ملحة من أجل استيعاب الأصول الأولى للحضارة الآشورية، هذه الأصول التي تتسم بالصعوبة البالغة في متابعتها، إذ إن دراسة هذه الحقبة تصطدم بعقبات كبيرة، فعلى العكس من الجنوب الذي وصلنا منه كتابات غزيرة سواء نصوص تاريخية (قوائم ملوك، كتابات ملكية، نصوص نذرية)، أو نصوص أدبية (أساطير، ملاحم، مراثي، أدب مدرسي)، أو نصوص قانونية (عقود اقتصادية، عقود زواج، قوائم جريات، نصوص إصلاحات)، أو نصوص دينية (تراتيل، أدعية، قوائم بأسماء الآلهة) التي تقدم مادة غنية ومهمة للباحث في العصور المبكرة لبلاد سومر، ولكن هنا في بلاد آشور فإن الحالة مخيبة للآمال، ففي العصور المبكرة، لاسيما في عصر فجر السلالات (*Early Dynastic Period*)، فإننا لا نمتلك أي وثائق من أجل بناء تصور واضح بشكل حتى لو كان جزئياً عن بلاد آشور، وقد أشير إلى هذه الحالة من قبل المنقب الألماني فالتر اندريه (*Walter Andréa*) أنه في آشور نعاني: "من غياب كامل للنصوص الكتابية"<sup>(١)</sup>. لذا فإن اعتمادنا الكلي في كتابة تاريخ آشور في هذا العصر سيعتمد بالدرجة الأساس على المادة الأثرية المتوفرة والتي كشفت عنها التنقيبات الأثرية، ومن ثم الإشارات القليلة التي وردتنا من وثائقنا في الجنوب أي بلاد سومر.

يسمى هذا العصر في بلاد آشور بعصر الطبقة (*G-H*)<sup>(٢)</sup>، وإن معرفتنا عن هذا العصر، من الناحيتين السياسية والحضارية ناقصة وغامضة بالنسبة لبلاد آشور لاسيما في الطورين الأول والثاني من عصر فجر السلالات<sup>(٣)</sup>، إلا أنه في الطور الثالث من هذا العصر أخذت تصلنا بعض المعلومات عن هذه المنطقة<sup>(٤)</sup>. ويؤرخ المنقب اندريه عصر الطبقتين (*G-H*) بفترة زمنية ترقى إلى الألف الرابع-الثالث قبل الميلاد<sup>(٥)</sup>. وهذا ويعد اندريه إن شعب الطبقة (*G*) معاصرين لسلالة لكش (*Lagash*) الأولى أي في عصر فجر السلالات الثالث<sup>(٦)</sup>. لذا لا بد من تخفيض تواريخ اندريه وربما كان عصر الطبقة (*H*) في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد.



### د. أسامة عدنان يحيى

مدرس تاريخ العراق القديم والشرق الأدنى

كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

بغداد – جمهورية العراق

Usama200080@yahoo.com

### الاستشهاد المرجعي بالهوال:

أسامة عدنان يحيى، بلاد آشور في عصر فجر السلالات - دورية كان التاريخية - العدد السادس؛ ديسمبر ٢٠٠٩. ص ٥٠ - ٥٧. (www.historicalkan.co.nr)

<sup>(١)</sup> فالتر اندريه، معابد عشتار القديمة في آشور، ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، (بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٦)، ص ٢٧.

<sup>(٢)</sup> لقد أطلق عليها المنقب الألماني اندريه هذه التسمية.

<sup>(٣)</sup> أول من أطلق على هذا العصر تسمية عصر فجر السلالات هو العالم الهولندي هنري فرانكفورت بعد التنقيبات التي أجراها في منطقة ديبالي، ويقسم هذا العصر إلى ثلاثة حقب زمنية هي:

١. عصر فجر السلالات الأول (٢٨٠٠-٢٧٠٠ قبل الميلاد).

٢. عصر فجر السلالات الثاني (٢٧٠٠-٢٥٥٠ قبل الميلاد).

٣. عصر فجر السلالات الثالث (٢٥٥٠-٢٣٧١ قبل الميلاد).

للمزيد من التفاصيل عن هذا العصر وتطوره السياسية والحضارية انظر: باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (لندن: دار الوراق، ٢٠٠٩)، ج ١، ص ٢٧٩-٣٨١.

<sup>(٤)</sup> باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٣١٢.

<sup>(٥)</sup> المصدر نفسه، ص ٢٥.

<sup>(٦)</sup> المصدر نفسه، ص ٢٨.



حليقي الرؤوس فضلا عن اللحية، وهذا نشاهده أيضا في الجنوب لاسيما في بسمايا وتلو، بينما يظهر رجال آخرون حليقي اللحية أيضا لكن لهم شعر غزير منسدل إلى الخلف، حيث يستقر فوق الرقبة على شكل ضفيرة. ويصادفنا هذا الشكل في أعمال النحت في بسمايا ونفر وتلو.

٣. وجود تناقض بين التماثيل الآشورية والسومرية، إذ تغيب تماما النقوش الكتابية من التماثيل الأولى التي تظهر في معظم التماثيل السومرية، وهنا يتساءل اندريه هل إن شعب آشور يعجز عن الكتابة؟ إن ذلك غير ممكن برأي المنقب، فقد عثر في منطقة القصر القديم في آشور على كسر لرقم مشوية تحمل علامات كتابية، وقد وجدت هذه الكسر في الطبقات العميقة جدا التي لا بد إنها تتطابق مع طبقة المعبد (G) أو (H). ولهذا يرى هذا المنقب بأنه ربما كانت الكتابة على التماثيل امتيازًا للأمرء الكبار، بينما كان يجب على الأمرء الأصغر شأنًا الاكتفاء بصنع تماثيل فقط دون نقش أية نصوص.

من خلال ذلك يخلص اندريه إلى نتيجة مفادها إن شعب الطبقة (G) كان تابعًا لأحد الحكام من الجنوب، كما حصل لزيقوم الذي حكم لاحقا في عصر سلالة أور الثالثة<sup>(١١)</sup>. غير إن هناك أسباب وجيهة تجعلنا نرفض رأي اندريه، وإن آشور في هذا العصر لم تكن خاضعة للجنوب، فبالنسبة للحجة الأولى الخاصة ببناء السكان معابدهم على غرار المعابد البابلية، فلا يشكل دليلا على سيطرة سياسية من الجنوب، طالما إن المؤرخين يؤكدون إن بلاد آشور كانت خاضعة طوال الألف الثالث قبل الميلاد لمؤثرات قادمة من الجنوب. هذا من جهة، وإن القول بوجود عرقين من البشر في آشور على أساس الاختلاف في النحت، فهو أمر لم يمكن الركون إليه لأن المنحوتات تخضع للأذواق الفنية أكثر مما تعكس اختلافات عرقية، فضلا عن إن استخدام المنحوتات كأدلة لاختلافات قومية أصبح مرفوضا من قبل الباحثين المحدثين<sup>(١٢)</sup>. وإن غياب النقوش من التماثيل الآشورية ربما يعود بالفعل إلى عدم معرفة السكان بالكتابة، ويبدو إن هذا الأمر هو الذي جعلنا لا نشهد وثائق كتابية من هذا العصر في آشور، ويشير العالم الألماني اوتو ادزارد إلى حقيقة إن العلاقات بين بلاد بابل وبلاد آشور كانت مغلقة إلى درجة ما، بسبب جبل حميرين، وهو فرع من سلسلة جبال زاكروس، والصحراء الواقعة إلى الجنوب منه. ويعتقد ادزارد إن ذلك هو السبب في عزلة بلاد آشور لذلك فإنها لم تحصل على الكتابة إلا في وقت متأخر كثيرا عن بلاد بابل، فهناك بعض النصوص تظهر فقط في آشور فقط خلال الفترة الأكديّة<sup>(١٣)</sup>. وإن الافتراض الذي يقول إن غياب النقوش الكتابية من التماثيل في آشور بسبب إن ذلك امتيازًا خاصًا بالأمرء الكبار وليس من حق الأمرء الأصغر شأنًا يتناقض مع نتائج التنقيبات الأثرية. فقد عثر في ماري (Mari) (تل الحريري قرب البو كمال الحالية) على تماثيل عليها كتابة أعانت الباحثين على معرفة أسماء الأشخاص الذين تصورهم التماثيل ومنها تمثال الطحان أيدي-ناروم (Idi-Narum)

لا نعرف شيء عن التنظيم السياسي لبلاد آشور خلال هذا العصر ويعتقد باحث أنه على الرغم من ورود إشارات عن شمال بلاد الرافدين لكنها لم تذكر الآشوريين، مما يؤكد على أنهم لم يؤسسوا بعد كيان سياسي لهم<sup>(١٤)</sup>. ونمتلك إشارة في كتابة ل (اياناتوم) (Eanatum) حاكم من سلالة لكش الأولى أنه واجه حلفاء عسكريا أقيم بين عيلام (Elam) وبلاد سوبار (Subar) ومدينة أورو-أ (Uru-a) وأنه انتصر عليهم أو كما يقول اياناتوم:

*elam Subar<sup>ki</sup> Uru-á a-Šhur-ta tum-Šè bi-Šè*

أي: "عيلام (و) سوبار (و) أورو-أ، وذلك ابتداءً من قناة اشخور، بالسلاح قد ضربها"<sup>(١٥)</sup>.

إن الذي يهمنا في النص هو اشتراك سوبار في الحلف، وهو الاسم المرادف لبلاد آشور (سنعود لمناقشة هذا الموضوع لاحقا). ومن الجدير بالملاحظة إن اياناتوم يذكر سوبار وبعدها اللاحقة (Ki) والمعروف إن هذه اللاحقة تتبع أسماء المدن والمناطق<sup>(١٦)</sup>، الأمر الذي يشير إن الاسم سوبار ذا دلالة جغرافية وليس قومية. وإن هذا النص يشير إلى مسألتين مهمتين وهما اشتراك سوبار (Subar) في حلف عسكري مما يشير إلى امتلاكها قوة عسكرية معدة للحرب، والمسألة الثانية هي إنها أقامت علاقات سياسية مبكرة مع المناطق المجاورة. لكن ذلك يصطدم بشكل مؤكد مع نتائج التنقيبات الأثرية، فقد أشار اندريه إن سكان آشور خلال عصر الطبقتين (G-H) كانوا على ما يبدو مسالمين، إذ لم تكشف التنقيبات عن أية تركة حربية لهم، فصحيح إن هيكل الألهة ليس المحل المناسب لكي يزين بالأسلحة، لكن لا بد من وجود أثر ما في موضع ما من المدينة لتلك الأدوات، كذلك لم يبق شيء من التحصينات الآشورية لتلك الفترة السحيقة، ويرى هذا المنقب أنه يجب أن ننسب القبور القديمة التي حرص السكان على أن يدفنوا فيها مع الرجال أسلحة برونزية، إلى ادوار آشورية لاحقة، ربما منتصف أو نهاية الألف الثالث قبل الميلاد (لا بد من التذكير هنا إن تواريخ اندريه مرتفعة) بسبب ما تحويه من الأواني الفخارية<sup>(١٧)</sup>. لذا يفترض اندريه إن بلاد آشور خلال هذه الفترة لا بد إنها عاشت تحت حماية قوية، ولم تكن هذه الحماية غير من الجنوب بل يذهب اندريه إلى ما هو أكثر ويقول أنه ربما كان شعب الطبقة (G) أصلا من السومريين (يسميه اندريه بابليين نسبة لبلاد بابل)، أي إن بلاد آشور كانت خاضعة سياسيا إلى إحدى الدويلات الجنوبية، ويستند اندريه في رأيه هذا إلى عدة أسباب وهي:

١. تشييد سكان آشور في هذا العصر معبدهم حسب الخطة الجنوبية.  
٢. الاختلافات الملفتة للأنظار التي تظهر في رؤوس التماثيل، والتي افترض سابقا ماير (Meyer) وجود عرقين من البشر متعايشين جنبا إلى جنب. وهذه المسألة تتعلق بالرجال فقط، حيث يبدو بعضهم

<sup>٧</sup> زياد عويد سويدان المحمداوي، التطورات السياسية في بلاد الرافدين: العهد الآشوري الوسيط، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٣)، ص ٢٥.

<sup>٨</sup> فوزي رشيد، ترجمات لنصوص سومرية ملكية، (بغداد: بلا مط، ١٩٨٥)، نص رقم: ٥، العمود: ٦، الأسطر: ١٧-١٩.

<sup>٩</sup> انظر حول ذلك: MDA, P. 22  
كذلك: فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، (بغداد: مديرية الثقافة العامة، ١٩٧٢)، ص ٢٣.

<sup>١٠</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٢٨.

<sup>١١</sup> المصدر نفسه، ص ٢٨-٢٩.

<sup>١٢</sup> باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

<sup>١٣</sup> اوتو ادزارد، "عصر فجر السلالات"، بحث ضمن كتاب: الشرق الأدنى- الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ص ٩٥.

ننتقل الآن إلى الجوانب الأصعب والاهم في تاريخ آشور وهي مسألة أصل السكان الذين استوطنوا هذه الأرض، ففي ظل غياب المصادر الكتابية تبقى المسألة غامضة ومربكة. فكما رأينا إن المنقب اندريه اعتقد انه من الممكن إن سكان آشور ربما كانوا من السومريين، نظرا للتشابه الكبير بين المظاهر الحضارية في الشمال والجنوب، ولكن هل يمكن للنصوص الكتابية المتوفرة في الجنوب تعطينا أضواء على التركيب العرقي لبلاد آشور؟ هنا أيضا كانت مصادرنا من سومر مخيبة للظن باستثناء التسمية التي ظهرت في نص اياناتوم وهي سوبار. فهل هذه نفس المنطقة الواردة في نص لوكال انيموندو والنصوص الخاصة بإخبار سرجون الاكدي وهي سوبارتو (*Subartu*)؟ ليس من غير المعقول أن نفترض إن سوبار هي نفسها سوبارتو، وكما ذكرنا سابقا إن تسمية سوبار تحمل مدلولاً جغرافياً وليس عرقياً، والحقيقة إن موقع سوبارتو يصعب تحديده بشكل قاطع ويفترض بوتيرة إن منطقة سوبارتو تقع في أعالي وادي الرافدين في المنطقة الممتدة من جبال زاكروس إلى الخابور والبلخ، وربما إلى أكثر من ذلك غرباً<sup>(٢٠)</sup>. وكان يقع ضمن هذه المنطقة بلاد آشور الأصلية<sup>(٢١)</sup>. بينما يعين الأستاذ الأمين هذه المنطقة بأنها الواقعة إلى شمال كركوك وشرقها<sup>(٢٢)</sup>. فهل يمكن أن تكون تسمية سوبارتو تدل في العصور المبكرة على منطقة آشور؟ في النصوص المتأخرة فقط يمكن أن نجد هذه المطابقة، فالملك دادوشا حاكم اشنونا في العصر البابلي القديم (٢٠٠٦-١٥٩٥ قبل الميلاد) يتحدث عن جيش حاكم ماري الأشوري يسمخ ادد (*Ismuh-adad*) ويقول عنه: "جموع سوبارتو وخانة"<sup>(٢٣)</sup>. وإن قائمة سنوات حكم حمورابي ملك بابل (١٧٩٢-١٧٥٠) يرد فيها تسمية بلاد آشور بصيغة سوبارتو<sup>(٢٤)</sup>. ونجد إن الملك البابلي مردوخ-ابلا-إيددينا (٧٢١-٧١٠) يطلق على الملك سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥) اسم ملك السوباريين وليس الأشوريين ويسمي جيشه جموع سوبارتو<sup>(٢٥)</sup>. وفي نص يعود إلى نابونائيد يصف ملك آشور سنحاريب ويسميه ملك سوبارتو<sup>(٢٦)</sup>. إن الأدلة السابقة تشير بشكل جيد إلى إن آشور/سوبارتو اسم لمنطقة واحدة، أطلق عليها في النصوص اسم سوبار- شوبور- سوبير- سوبارتو- شوبارتو. وهنا يبرز التساؤل من هؤلاء السوباريين الذين تركوا اسمهم على هذه المنطقة حتى أواخر حضارة وادي الرافدين؟

<sup>(٢٠)</sup> جان بوتيرو، "الإمبراطورية السامية الأولى"، بحث ضمن كتاب: الشرق الأدنى- الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ص ١١٢.

<sup>(٢١)</sup> باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٩٨، ٥١٨.

<sup>(٢٢)</sup> محمود الأمين، قوانين حمورابي صفحة مشرقة في حضارة وادي الرافدين، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧)، ص ١٢.

<sup>(٢٣)</sup> باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٥١٩.

<sup>(٢٤)</sup> انظر النص في:

A. Leo Oppenheim, List Of Date Formulae Of Reign Of

Hammurabi, In, ANET, (Princeton, 1966), P. 270.

<sup>(٢٥)</sup> انصر النص في:

C. J. Gadd, "Inscription Barrel cylinder Of Marduk-Apla-Iddina II",

In, Iraq, Vol: 15, Part: 2, 1953, PP. 123, 124, 127.

<sup>(٢٦)</sup> انظر النص في:

A. Leo Oppenheim, Nabonidus Rise To Power, In,

ANET, (Princeton, 1966), P. 309.

والمغنية أور-نانشة (*Ur-Nanshe*)<sup>(١٤)</sup>، وليس هناك من دليل على إن هؤلاء كانوا من الطبقة الحاكمة.

نخلص من هذا إن محاولة البرهنة على إن بلاد آشور كانت خاضعة للجنوب في هذا العصر، لا يمكن الأخذ بها ما لم تتوفر أدلة كتابية تؤكد هذه المسألة. هذا ويمكن الافتراض إن بلاد آشور خلال هذه الحقبة على غرار الجنوب كانت تتألف من عدد من الدويلات مثل آشور ونيوى، رغم وجود رأي يقول إن بلاد آشور لم ينشأ فيها نظام دول المدن في عصورها القديمة على غرار ما ظهر في الجنوب<sup>(١٥)</sup>. ونقرأ في نص يعود لأحد حكام الجنوب وهو لوكال انيموندو حاكم دولة اداب (*Adab*) والذي حكم حسب ما يذكر الإثبات السومري للملوك تسعون سنة<sup>(١٦)</sup> والذي ربما كان من ملوك سومر العظام. وقد وصلتنا منه وثيقة متأخرة تدل على انه كان غازياً كبيراً بسط نفوذه من الأراضي الواقعة بين البحر المتوسط حتى جبال زاكروس، ونعنته الوثيقة بملك الجهات الأربعة، وتحدث عن بنائه معبد اينامزو وتذكر حضور وفود من الدول المجاورة ومنها بلاد سوبارتو مع أضحاهم للمشاركة في هذه المناسبة<sup>(١٧)</sup>. فإذا ما أخذنا ما ورد في هذه الوثيقة كحقيقة تاريخية فإن ذلك يعني وجود علاقات سياسية مبكرة بين بلاد آشور والجنوب. ومن الجدير بالذكر إن الوثيقة تشير إلى إن الوفود الذين حضروا كانوا بصفتهم سوكال ماخ (*Sukkal-Mah*) وهي كلمة سومرية تعني وزير الملك<sup>(١٨)</sup>. ويترجمها ادزارد الوزير الأقدم وان سوكال في الأصل تعني مبعوث أو رسول<sup>(١٩)</sup>. مما يشير إلى وجود تنظيم إداري جيد في آشور في هذه الحقبة.

إن محاولة الاعتماد على المادة النصية القادمة من الجنوب لمعرفة تاريخ آشور مخيبة للأمال فالوثائق السومرية لا تقدم لنا معلومات ذات شأن مهم، ولا يمكن من خلالها رسم حتى تصور أولي عن هذه المنطقة.

<sup>(١٤)</sup> انظر حول هذه التماثيل: أنطوان مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (بغداد: مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٥)، الألواح: ٦٤، ٦٨-٦٩، طارق عبد الوهاب مظلوم، "النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث"، بحث ضمن موسوعة: حضارة العراق، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)، ج ٣، ص ٣١.

<sup>(١٥)</sup> انظر هذا الرأي في: باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٥٢٤؛ احمد مالك الفتبان، نظام الحكم في العصر الأشوري الحديث، (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩١)، ص ١١٥.

<sup>(١٦)</sup> انظر:

Samuel Noah Kramer, "The Sumerian King List", In .Problems Ancient History, Vol. I, The Ancient Near East and Greece, Edition By: Donald Kagan, (New York, 1975), P. 3;

Jean-Jacques Glassner, Mesopotamian Chronicles (Atlanta, 2004), No. 1-2.

<sup>(١٧)</sup> صموئيل نوح كرامير، السومريون: تاريخهم، وحضارتهم، وخصائصهم، ترجمة فيصل الوائلي، (الكويت: مطبعة غريب، ١٩٧٢)، ص ٦٨-٦٩؛ سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨)، ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٦.

<sup>(١٨)</sup> انظر حول هذه الكلمة في:

MDA, No. 321; CDA, P. 327.

<sup>(١٩)</sup> اوتو ادزارد، "سلالة أور الثالثة: إمبراطوريتها والدول التي خلفتها"، بحث ضمن كتاب: الشرق الأدنى- الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦)، ص ١٤٢.



الجدران مبنية باللبن ومطلية بملاط طيني. ولا نعلم ما إذا كان مثل هذه المقاعد قد توفرت في البيوت أم لا؟ وقد عثر في تلو مقاعد شبيهة بهذه لكن الاستخدام الحقيقي للغرف التي وجدت فيها غير معروف تماما على الرغم العثور على العديد من الرقم الطينية فيها. ولم يصلنا شيء ومن الحاجيات التي كانت تدخل في مجال الاستعمال اليومي، باستثناء تلك المصنوعة من الفخار، فالمواد مثل الأخشاب أو المنسوجات تتلف بسرعة في المناخ والرطوبة العالية<sup>(٢٩)</sup>.

زاول السكان عدد من الحرف وبلاشك كانت الزراعة أهمها، فالمعروف إن في كل إقليم من بلاد آشور توجد مساحات صغيرة من أراضي الجبوب، وكانت هناك منطقتان واسعتان بالذات منتجتان بشكل واضح للجبوب، الأولى هي سهل اربيل - ولا نعرف إن كان هذا الإقليم كان من ضمن حدود بلاد آشور في ذلك الحين - الذي يوصف بأنه أحسن إقليم منتج للقمح في العراق، والمنطقة الثانية هي سهل الموصل. وإلى الغرب من دجلة هناك حزام من الأراضي الصالحة للزراعة في منطقة الجزيرة إلى الجنوب من جبل سنجار، ويمكن أن نلاحظ أنه في السنوات الجيدة ينمو الشعير في هذا السهل إلى الخط الذي يصل بين الحضر وقلعة الشرفا (موقع العاصمة القديمة آشور)<sup>(٣٠)</sup>. ونعرف عن وجود عدد من الحرف من الشواهد الأثرية فقط، إذ كانت التجارة مزدهرة في ذلك العصر، ونمتلك عنها معلومات من خلال التماثيل الجالسة التي وصلتنا. ونعرف أيضا وجود حرفه الحفر على العاج، أما صناعة النحاس فيشير إليها منجل عثر عليه في معبد عشتار. وكانت صناعة الفخار مزدهرة، وقد وصلتنا نماذج من الأواني الفخارية المستخدمة في آشور والتي تعد من حيث شكلها وصناعتها مساوية لأفضل ما قدمته صناعة الفخار خلال العصور الآشورية. استخدم السكان أنواع متعددة من الفخاريات، فهناك وعاء خزن الماء المستعمل في البيوت والذي كان يركب فوق حامل خشبي، ويوضع تحته وعاء آخر لتجميع قطرات الماء المرشح، كذلك هناك الأقداح والأطباق والكاسات التي تستخدم لشرب الماء. فضلا عن أوعية الطعام، ومواقد الفحم لموسم البرد، ومجاري وأحواض الغسيل. وهناك أدوات واوان مصنوعة من الفخار المشوي خاصة بالصلاة والعبادة. ويبدو تلويين أو نقش الأواني بالمعنى الحقيقي لم يكن مألوفاً في ذلك العصر، وكل ما نعرفه هو أعمال بسيطة فقط مثل التنقيط بنقط سوداء أو رسوم دوائر أو ما شابه، وقد اقتصدوا كثيرا في هذه الأعمال التي تظهر في الغالب على رقاب وأكتاف الآنية. وان اللونين الأسود والأحمر المستخدمان على الآنية، كانا مستخدمان في عهود ترقى إلى ادوار ما قبل التاريخ وصولاً حتى عصر الطبقة (H)<sup>(٣١)</sup>. ولا نعرف كيف كانوا يقومون بصناعة الألوان، وقد أشير بشكل عام إلى إن نقوش الفخاريات لونت بألوان من أصل عضوي ومعدني، واستخلصت الألوان العضوية من عصير النباتات أو الكربون، والمعدنية من أكاسيد الحديد والمنغنيز. وكانت اللون الأسود ينتج من استعمال عصير النباتات الذي يصبح اسود إذا كانت حرارة الكورة المستخدمة لشي الفخار قليلة ومدتها قصيرة. وكذلك يتم الحصول على اللون الأسود من أكسيد الحديد أو أكسيد المنغنيز أو

إن النظرية السائدة تقول إن السوباريين كانوا من أوائل من سكن بلاد آشور، وهم الذين سبقوا الآشوريين في الاستيطان، ويرجح أن يكون الاسم الأصلي لبلاد آشور، هو كما أسلفنا سوبارتو أو شوبارتو أو سوبير، نسبة إلى أولئك السوباريين. وان أصل السوباريون ولغتهم غير معروفين، وكل ما قيل عن لغتهم إنها ليست من عائلة اللغات الهندية-الأوربية، وأنهم كانوا من الأقوام الجبلية في الجهات الشرقية مثل الكوتيين واللوبيين، وكانوا يقطنون في شمالي ما بين النهرين في منطقة الجزيرة العليا وشرقي دجلة، وكان يقع ضمن موطنهم المنطقة الشمالية من العراق التي عرفت باسم بلاد آشور، وذلك قبل هجرة الآشوريين إليها في الألف الثالث قبل الميلاد، إذ أزاوحا القسم الأكبر من السوباريين إلى المناطق الجبلية شرقي دجلة<sup>(٣٢)</sup>. ولكن ألا يمكن النظر إلى إن حضارة شعب الطبقة (G-H) كانت سوبارية، أي بتعبير أدق هل يمكننا الافتراض إن حضارة هذا العصر هي حضارة سوبارية وليست آشورية؟، هل يمكن أن ننسب اللقى الأثرية التي عثر عليها والتي تعود لهذا العصر في آشور إلى أولئك السوباريين المجهولين المتأثرين بالحضارة السومرية؟ إن السبب الذي يدفع إلى هذا الاعتقاد إن سكان آشور في هذا العصر لو كانوا آشوريين لذكروا باسمهم وليس باسم السوباريين، ولكن النصوص السومرية تذكر صراحة بلاد سوبار/سوبارتو وليس بلاد آشور. ومع ذلك هل يمكن إن الآشوريين يكونوا قد دخلوا شمال العراق في هذا العصر؟ ربما إن التنقيبات المستقبلية في العراق والدراسات القادمة ستستطيع أن تجيب على هذه الأسئلة؟

لا نعرف الكثير عن حضارة الطبقة (G)، وان المعلومات المتوفرة هي تلك التي حصلنا عليه نتيجة التنقيبات الأثرية. وان الوصف التالي لهذه الحضارة سيعتمد على نتائج هذه التنقيبات. ليس لدينا معلومات كافية تخص الحياة الاجتماعية في آشور خلال هذه الحقبة، سوى ما عثر عليه من لقي اثارية، منها بقايا البيوت الطينية، إذ كان الطين هو المادة الأساسية في البناء، في شمال العراق وجنوبه وهو المادة الرئيسة الأوفر والأكثر اقتصادا والأقل كلفة والأكثر قدرة على التطويع والتشكيل<sup>(٣٣)</sup>. فقد كانت في آشور البيوت طينية، وهذا ينطبق كذلك على كبار القوم وأمرائهم. ويمكن لهذه البيوت أن تشابه مع أبنية المعابد في مخططاتها وترتيب أجزائها: غرف نوم حول فناء واحد أو فناءين، وغرفة كبيرة واحدة أو غرفتان، ومداخل تؤدي إليها من خلال الزقاق وان أرضية البيوت عبارة عن تراب أو حصى مدقوق، أما الحجارة المنسطة والأجر المشوي فلا يتوفران إلا عند العتبات فقط، وربما وجدت فوق الأرضية حصيرة مصنوعة من القصب (الذي لا يبد وان كان يجلب من الجنوب)، لان عموم السكان كانوا يجلسون على الأرض، أما الكراسي فكانت مخصصة في الأصل للإله فقط، أو للأمرء. وكان الكرسي عبارة عن مقعد مكعب الشكل بلا مسند يكون سطحه المخصص للجلوس مقعرا. وقد عثر في أماكن متعددة من المعبد أجزاء مرتفعة تشبه المقاعد تمتد على طول الجدران تصلح للجلوس، كما إنها مثل الجدران تصلح للجلوس، كما إنها مثل

<sup>٢٧</sup> باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٥١٨؛ المحمداوي، التطورات

السياسية في بلاد الرافدين، ص ٣.

<sup>٢٨</sup> مؤيد سعيد، "العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث" بحث ضمن موسوعة: حضارة العراق، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)، ج ٣، ص ٩٧.

<sup>٢٩</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٤.

<sup>٣٠</sup> هاري ساكر، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي

العراقي، ١٩٩٩)، ص ١٧.

<sup>٣١</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٥.

شيء عن مجمع الآلهة، باستثناء الافتراض عن وجود عبادة للربة عشتار (إينانا السومرية) على أساس المعبد الذي كشفت عنه التنقيبات والذي يعود في عصور لاحقة إلى هذه الربة. ولا نعرف إن كان الآشوريون في هذا العصر موجودين في آشور أم لا؟ ولا نعرف كذلك إن كانت عبادة الإله آشور المعبود الرئيس للآشوريين كانت موجودة؟ كشفت التنقيبات في آشور عن بقايا معبد مهم شيد لعبادة الإلهة عشتار، وقد سجل لهذا المعبد دوران رئيسان، أقدمهما دور التأسيس وهو المعبد المسجل بحرف (H) في التنقيبات، والذي شيد على الأرض البكر، ثم شيد فوقه المعبد الثاني وفق المخطط نفسه وهو المعبد (G). ويشير الفخار الذي وجد في المعبد إلى أنه استمر في الاستعمال في الطور الثاني وأوائل الطور الثالث من عصر فجر السلالات<sup>(٤٣)</sup>. وكما نوهنا سابقاً فإنه لا توجد فروق كبيرة بين المعبد في هذا العصر والبيوت السكنية، فيما عدا وجود غرفة الإله التي تمتاز بجدران سميكة ومساحات واسعة. إن غرفة العبادة تقع على الفناء حتى إذا كان الفناء لا يؤدي إليها مباشرة، وكان الشخص الداخل إليها يجد نفسه في زاوية المكان وعليه أن يستدير شمالاً لكي يستطيع رؤية الإله. وربما كان هناك مكان مرتفع لنصب تمثال الإله، هذا الموضع يبدو مرتفعاً جداً في المعابد الآشورية المتأخرة، نسبة إلى الموضع الواطئ في المعابد البابلية الذي لا يزيد عن سلم ذي درجة واحدة، لذلك كان لابد من وجود درج للوصول إلى سطح القاعدة المرتفع، بينما كان البابلي القديم يقف بنفس الارتفاع مع تمثال إلهه تقريباً. ومن المهمت للنظر أنه لم يبق أي أثر للتمثال المعبود في المعبد. وربما كان الموضع المرتفع يقع عند الجدار الضيق وعلى يسار الشخص الداخل. وفي عصر الطبقة (H) كان موضع الإله يبرز عن بقية أجزاء الغرفة بواسطة أعمدة جدارية على كلا الجانبين، بحيث نشأ عن ذلك مكان صغير يمكن أن نسميه (*bit rēšī*) (البيت الرئيس)<sup>(٤٤)</sup>، ويفترض اندريه إنهم عمدوا إلى عزله بستارة أو حسيمة<sup>(٤٥)</sup>، رغم لا يوجد ما يؤيد ذلك لافتقارنا للنصوص الكتابية<sup>(٤٦)</sup>.

لا تعرف أمورا كثيرة عن الطقوس الدينية وربما كان الأفراد يُصلون إلى اله وهم عراة، ففي مشهد في نحت بارز نشاهد رجلاً وهو يقدم قرباناً من المشروب، مرة إلى اله ملتج وأخرى إلى إلهة أنثى، والرجل عارٍ تماماً وحليق الشعر كلياً. ومن خلال المشهد السفلي نتعرف على رجلين حليقا شعر الرأس تماماً يسوقان ماعز وخروفاً جبلياً، ويحمل الرجل الذي يسير في المقدمة شيئاً ما على رأسه، وهما يرتديان تنورة ذات الخصل. ويمكن أن نشاهد من إن أحد الرجلين يمسك بيده اليمنى شيئاً له صلة بالعبادة موضوعاً فوق رأسه، بينما

<sup>(٤٣)</sup> باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٣١٢.

<sup>(٤٤)</sup> يفضل العلماء الغربيون استخدام مصطلح قدس الأقداس على الغرفة الخاصة بالإله وهي تسمية مأخوذة بالدرجة الأساس من المعارف التوراتية لذا فضلنا استخدام المصطلح البابلي الأصلي. وبيت ريشي (*bit rēšī*) يعني البيت الرئيس أو قدس الأقداس. انظر حول معنى الكلمة:

MDA, No. 324.

<sup>(٤٥)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٦.

<sup>(٤٦)</sup> يفترض اندريه هذا الافتراض قياساً على ما كان موجوداً في هيكل سليمان، انظر: اندريه، المصدر نفسه، ص ٣٦. ويمكن أن تقرأ عن وجود مثل هذه الستارة في هيكل سليمان: "وضع الحجاب (الفاصل بين المحراب وبقية الهيكل) من قماش أزرق اللون وبنفسجي واحمر وكتان، طرز عيه رسم الكروبيم". أخبار الأيام الثاني، ٣: ١٤.

الكربون. أما اللون الأحمر فيتم الحصول عليه من اوكسيد الحديد أيضاً<sup>(٣٢)</sup>. كانت زخرفة أواني الطبقة (G)، أما بارزة أو غائرة، فالأوعية الكبيرة تزين عادة بحلقات منتفخة مثل الحبل، وهذه تزيد من تماسك الإناء وقوته، ويقل عددها في الأواني الصغيرة، وكذلك تشمل الزخرفة خطوط متموجة ومستقيمة ونقاط تنتج بوساطة الخدش والحز<sup>(٣٣)</sup>.

تكشف التماثيل عن الأزياء التي لبسها السكان في هذا العصر، ويشير مورتكات إن الأمير-الكاهن عادة ما يظهر وهو حليق الرأس في أكثر الأحيان وفي لباس يسمى التنورة ذات الخصل الصوفية (الكوناكس) المؤلفة من سبعة صفوف أفقية من الخصلات الصوفية بعضها فوق بعض<sup>(٣٤)</sup>. ويبدو إن هذا الزي هو الذي كان سائداً خلال هذا العصر ويمكن أن نقارن الملابس في تمثال وصلنا من آشور<sup>(٣٥)</sup> مع الملابس التي تظهر على التماثيل من أنحاء مختلفة من وادي الرافدين، مثل التمثال من الرخام لرجل من خفاجة (في ديالى)<sup>(٣٦)</sup>، أو التمثالين من ماري المصنوعان من حجر الكلس لـ(إيتور شامكان)، و(ناني)<sup>(٣٧)</sup>. ونشاهد نفس الملابس يرتديها ابن إياناتوم حاكم لكش باستثناء إن الملابس التي يرتديها تتألف من خمسة صفوف أفقية من الخصلات الصوفية<sup>(٣٨)</sup>. ونشاهد الحاكم انتمينا يرتديه في تمثال من حجر الدورابت<sup>(٣٩)</sup>. وتظهر النساء وهن يتركن الكتف الأيمن والثدي عاريين ويعتقد اندريه إن هذا الزي يرتدى فقط أثناء الصلاة، وفي تمثال تظهر امرأة برداء كأنه حجاب كامل ويبدو الرداء في شكل عباءة ترتدى فوق الملابس الاعتيادي. وتصنع هذه العبءة من قطعة قماش بخصل مستطيلة الشكل، وبحافة عليا مقلوقة بحيث إن الخصل المسحوبة إلى الداخل تظهر في الأعلى كياقة متجهة للخارج<sup>(٤٠)</sup>. ربما فقط النساء الأحرار يرتدين مثل هذه الثياب، أو بتعبير أدق كانت النساء الأحرار يظهرن بحجاب كامل، كما تشير إلى ذلك المادة القانونية المتوفرة من العصر الآشوري الوسيط<sup>(٤١)</sup>، وربما يمكننا الافتراض وجود مثل هذه الحالة في العصور المبكرة. فضلاً عن ذلك تعطينا التماثيل تفاصيل أخرى عن أدوات الزينة، فقد ارتدت النساء القلائد من الخرز، وكذلك الحلقي، وتعرفنا الأشكال الفخارية عن مشبكات الأذرع<sup>(٤٢)</sup>.

إن معلوماتنا عن المعتقدات الدينية خلال هذا العصر قليلة، فلا نمتلك مادة كتابية حول العبادة أو الطقس الديني، ولا نعرف

<sup>(٣٢)</sup> تقي الدباغ، "الفخار في عصور ما قبل التاريخ"، بحث ضمن موسوعة حضارة العراق، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)، ج ٣، ص ١٢.

<sup>(٣٣)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٥.

<sup>(٣٤)</sup> أنطوان مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان وآخرون، (دمشق، ب. مط، ١٩٥٠)، ص ٧١.

<sup>(٣٥)</sup> مورتكات، الفن في العراق القديم، اللوح: ٧٧.

<sup>(٣٦)</sup> المصدر نفسه، اللوح: ٧٦.

<sup>(٣٧)</sup> المصدر نفسه، الألواح: ٧٨-٧٩.

<sup>(٣٨)</sup> المصدر نفسه، اللوح: ٨٥؛ فرج بصمه جي، "تمثال ابن أبن انانم الأول في المتحف العراقي"، مجلة سومر، م ١٤، لسنة: ١٩٥٨، ص ١٢٥-١٢٦.

<sup>(٣٩)</sup> مورتكات، المصدر نفسه، الألواح: ٨٧-٨٨.

<sup>(٤٠)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٢.

<sup>(٤١)</sup> انظر المادة: ٤٠-٤١ من قوانين العصر الآشوري الوسيط في:

Theophile J. Meek, "The Middle Assyrian Laws", In:

ANET, (Princeton, 1966), P. 183.

فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩) ص ١٩٥-١٩٤.

<sup>(٤٢)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٤.

نفسها في بلاد آشور أم لا ؟ ومع ذلك ليس هناك من مبرر للقول إن الأمر لم يكن هكذا في بلاد آشور.

كان هناك شتى الأنواع من القرابين التي يحملها المصلي للإله، سواء كان قربانا حيوانياً أو نباتياً، وقرابين سائلة مثل الماء، ونشاهد في المنحوتات أسلوبان عند سكب الماء وهما، السكب من وعاء الهبات إلى إناء ثاني، أو السكب على الفاكهة أو باقات الورد. وان الطريقة الأولى تعد واقعية، أما الثانية فهي تمثل إجراء ذي معنى مجازي، إنها تُرى الإله كيف يقوم هو بسقي الفاكهة والأشجار في الحقول والبساتين بماء المطر. كان المصلي يحمل القربان بيده إلى الإله، أو يحل محله أحياناً خادماً يتولى هذا الأمر، ويسير خلف سيده صاحب القربان مرتدياً زيه ومقلداً إيماءات صلواته. وبعد ذلك يجري ذبح الحيوان قرباناً للإله، وربما يتم ذلك عند مدخل غرفة الإله، والسبب في هذا الاعتقاد وجود حوض مربع ومجرى ماء بالقرب من هذه الغرفة، ومن المحتمل إن دم الذبيحة يجمع في وعاء من الفخار مربع الشكل، وهو الذي عثرت التنقيبات على كسر منه في الغرفة. وكانت قطع اللحم الجيدة كالرأس والأضلاع والأفخاذ تقدم عادة للإله، وتوضع فوق منصة القرابين الصغيرة التي لا يزيد ارتفاعها عن المتر الواحد، والمصنوعة من الفخار المشوي. وكشفت التنقيبات في المعبد عن حوامل فخارية عالية تنصب على مقربة من الإله، الغرض منها تهيئة مكان لباقات الزهور أو لحزم من الثمار، أو بوضع في أعلى الحامل الفخاري طبق ثابت في فوهته العليا أو متحرك يوضع عند الاستعمال. للطبق فتحات تسهل حرق الأخشاب ذات الرائحة الطيبة أو البخور<sup>(٥٤)</sup>. كانت المعابد في آشور مليئةً بتماثيل نذرية لأمرء وأميرات وكهنة، وربما لأناس أدنى منزلة اجتماعية، وهذه الظاهرة نشاهدها في ماري أيضاً وفي معبد الإله سين في خفاجة، والتي تعود إلى بدايات الألف الثالث قبل الميلاد. وان أفضل صورة عن أهمية وغرض التماثيل النذرية يقدمها لنا معبد عشتار الطبقة (G) من آشور. إذ وضعت أمام تماثيل الإله في البيت الرئيس (قدس الأقداس)، مباحر عالية ومذابح مدرجة على شكل بيوت<sup>(٥٥)</sup>، بينما انتصب على كل مقعد من المقاعد الموضوعة على كلا الجدارين الطويلين تماثيل واقفة وجالسة لمصليين رجالاً ونساءً، كان غرضهم عبادة الآلهة واستمرار لتوسلاتهم إليها سعياً وراء إطالة الحياة، وكانت هذه التماثيل اصغر بكثير من الحجم الطبيعي للإنسان العادي؛ ودائماً كانت منحوتة من الحجر الجيري الهش ونادراً ما استخدم حجر الديوراييت، وقلما يوجد بين هذه التماثيل من يحمل اسم صاحبه، وتعد هذه التماثيل الوريث المباشر لطراز تماثيل معبد ابو في مدينة اشنونا، غير إنها تختلف عنها كونها اقل تجريدية واشد تقيداً في النواحي الجسمية<sup>(٥٦)</sup>. إن افتقارنا للمادة الكتابية يجعلنا لا نعرف بشكل جيد أهداف هذه التماثيل، ومرة أخرى لا بد من الاستعانة بمادة نصية من بلاد سومر حتى نفهم مغزاهما بشكل أوثق. إن التماثيل النذرية من بلاد سومر وفي ديالى مصنوعة بلا استثناء للمعابد السومرية، وعثر عليها في بقايا هذه المعابد. وان هدف هذه التماثيل واضح، إذ وجد الفرد في الحجارة بديلاً منحوتاً له، وهذا ما تؤكده الكلمات الفعلية المستخدمة عند الكتابة على هذه

يرفع الثاني يده بأسلوب يدل على إيماءة الصلاة. وربما كان الرجلان في الإفريز الأسفل لا يمثلان مباشرة أمام الإله مثل واهب المشروب، لذا فهما لا يزالان يرتديان ملابس دينوية اعتيادية أي التنورة ذات الخصل<sup>(٤٧)</sup>. وربما كان الشخص العاري يمثل كاهناً في حين إن المتعبدين يرتدون ملابسهم الاعتيادية، ويشير الأستاذ فون زودن انه في العصر السومري يبدو انه توجب خلال بعض تقديم القرابين أن يظهر احد الكهنة عارياً أمام الإله، وربما كان ذلك ليدلل على طهارته التامة<sup>(٤٨)</sup>.

يمكن أن نفهم من التماثيل في المعبد إن علاقة المصليين بالإله علاقة قريبة، حميمة وشخصية، فالإله قريب وحاضر دائماً، وانه يقيم مع البشر في مكان واحد، والإنسان يخطو إليه كما يتقدم نحو أي مخلوق حي، يتكلم معه ويتلقى أجوبته ويقدم إليه القرابين. هكذا هي كانت الصورة في المعابد السومرية وليس هناك أي مبرر - نظراً للتشابه الكبير بين المظاهر الحضارية بين الجنوب والشمال - لكي نتصور حالة سكان الطبقة (G) في آشور يختلف كثيراً، لكن العلاقة هنا ربما تأثرت بمقدار ضئيل بسبب وجود تماثيل الإله فوق مكان مرتفع مقارنة بالإله البابلي. ولكن لا نعرف شيء عن تماثيل الإله وربما كان مصنوعاً من مادة سريعة التلف ومغطى بملابس حقيقية مليئة بالزخارف والحلي<sup>(٤٩)</sup>.

كان من النادر أن يدخل المرء إلى المعبد دون قربان، ونشاهد هذه الحالة في العديد من مشاهد الصلاة. وفي معظم الأحيان تقوم آلهة اقل شأنًا ومنزلة بتقديم المصلي إلى الإله الكبير المترجع على عرشه، لذلك لم يكن يسمح للمصلي بالظهور أمام الإله بمفرده ومن تلقاء نفسه بل يحتاج إلى من يقوده ويقدمه<sup>(٥٠)</sup>. هذه الحالة نشاهدها بشكل جيد في الجنوب، ويعرف الإله الثانوي عادة بين الباحثين باسم الإله الحامي أو الشخصي، ففي الأختام الأسطوانية هناك مشهد يمثل فرداً عابداً يقدمه له أو إلهة إلى بعض الآلهة من مقام ومرتبة أعلى<sup>(٥١)</sup>. وربما إن كهنة بزى آلهة هم الذين تولوا هذه المهمة<sup>(٥٢)</sup>. ولكن ماذا تمثل هذه الآلهة في آشور؟ إن غياب الوثائق يجعلنا لا نفهم دورها، لكن في سومر كان لا بد للإنسان من اله شخصي، وسيط للتدخل من اجله أمام الآلهة، وسيط تكون الآلهة الكبرى راغبة بالسماح إليه، فالإله الحامي أو الشخصي أشبه ما يكون بالملك الطيب لكل شخصية مهمة ورب أسرة، الذي يعني بعائلة ذلك الإنسان عناية خاصة، فهو بمثابة والد الإنسان الإلهي الذي أنجبه، أو ربما هو تشخيص لحظ الفرد ونجاحه في الحياة. فالفرد في وادي الرافدين لا ينظر إلى الآلهة الكبار إلا كقوى نائية ليس له أن يتضرع إليها إلا في الأزمات الشديدة، ولا يفعل ذلك إلا عن طريق هذا الإله الوسيط<sup>(٥٣)</sup>. هذه هي صورة الإله الحامي في بلاد سومر، ولا نعرف إن كانت هذه الصورة هي

<sup>(٤٧)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٢-٣٣.

<sup>(٤٨)</sup> ف. فون زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة: فاروق إسماعيل، (دمشق: دار الهدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٣)، ص ٢٠٨.

<sup>(٤٩)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٦-٣٧.

<sup>(٥٠)</sup> المصدر نفسه، ص ٣٧.

<sup>(٥١)</sup> باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٣٦٩.

<sup>(٥٢)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٧.

<sup>(٥٣)</sup> كريمر، السومريون، ص ١٦٧-١٦٨؛ ثوركيلد جاكوبسن، "ارض الرافدين"، بحث ضمن كتاب: ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠)، ص ٢٤٠-٢٤١.

<sup>(٥٤)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٧-٣٨.

<sup>(٥٥)</sup> حول المذابح الصغير ذات شكل البيوت التي عثر عليها في آشور انظر: اندريه، المصدر نفسه، ص ٥١-٥٦.

<sup>(٥٦)</sup> مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى، ص ٧٠-٧١.

الحديث كما يشير تشايلد كان هناك طقس سحري يقوم على اتحاد الجنسين بصورة احتفالية والذي قد يرمز إلى التلقيح في الطبيعة<sup>(٦١)</sup>.

ومثل أمور كثيرة ما زلنا نجهلها عن بلاد آشور وديانتها في هذه الحقبة فإننا أيضا لا نعرف الكثير عن معتقدات العالم الأسفل، ويمكننا الافتراض بان السكان كانوا يدفنون في التراب، كما تم إثبات ذلك بالنسبة للطبقة (E) (ربما كانت معاصرة لعصر سلالة أور الثالثة)، وهذا يتفق مع ما هو موجود في الجنوب، ففي فارا عثر على العديد من القبور الأرضية، وفي مسلة العقبان للملك السومري اياناتوم (المعاصر للطبقة G) نشاهده وهو يدفن قتلاه من الجند في قبر جماعي، ولا يحكي لنا المشهد عن أية توابيت أو حرف للجثث. وفي الطبقة (E) نعرف عن حالة ماثلة، مع اختلاف بسيط هو وجود حرق الجثث قبل الدفن فوق موقد خاص اعد لهذا الغرض، ولا نعلم ما إذا كانت هذه العادة سارية في هذا العصر أيضا أم لا؟، ويعتقد اندريه إنها حالة محتملة نظرا لوجود صلات تشابه بين الطبقتين<sup>(٦٢)</sup>.

لا نعرف كيف انتهى عصر فجر السلالات في آشور ولكن التنقيبات الأثرية تشير إلى إن الطبقة العائدة لهذا العصر قد دمرت تدميرا تاما<sup>(٦٣)</sup>، ولا نعرف الغازي الذي قام بهذا الفعل، هل من الممكن أن يكون التدمير ناتج عن الحركات العسكرية التي نفذها سرجون الاكدي (٢٣٧١-٢٣١٦)؟ لا يبدو الأمر غريبا ونحن في اقل تقدير نمتلك أدلة عن قيام هذه الملك بهجامة بلاد سوبارتو (أشور)، فنصوص الفأل تضم إشارات إلى فتح سرجون لهذه المنطقة<sup>(٦٤)</sup>. وفي نص متأخر هو جزء من كتب الأخبار البابلية يشير إلى عملية عسكرية وجهها سرجون إلى بلاد سوبارتو وانه قام بإخضاعها<sup>(٦٥)</sup>.

إن تاريخ آشور خلال هذا العصر يتسم بالغموض لعدم توفر النصوص الكتابية، وان المادة النصية المتوفرة في الجنوب قد تساعدنا من فهم بعض المظاهر الحضارية في بلاد آشور، رغم الحذر الشديد من استخدام هذه المادة كما يرى الأستاذ ساكر<sup>(٦٦)</sup> ومع ذلك فان المادة التي تقدمها النصوص من الجنوب مهمة رغم ضعفها فيما يخص الجانب السياسي لبلاد آشور خلال هذا العصر. وتبقى المادة الأثرية في آشور هي المهمة من اجل دراسة أفضل للحقبة، مع عيوب الاعتماد على الآثار المجردة، لأننا سنعتمد على التخمين من اجل تصور الحياة الاجتماعية أو الدينية للحقبة.

<sup>(٦١)</sup> ف.غوردن تشايلد، ماذا حدث في التاريخ، ترجمة: حسين مؤنس، (القاهرة: بلا مط، ١٩٥٦)، ص ٦٢.

<sup>(٦٢)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٥.

<sup>(٦٣)</sup> المصدر نفسه، ص ٢٦.

<sup>(٦٤)</sup> بوتيرو، الإمبراطورية السامية الأولى، ص ١١٢.

<sup>(٦٥)</sup> انظر أخبار الملوك المبكرين، اللوح: ١، السطر: ١٤، في:

A. Leo Oppenheim, "The Sargon chronicle", In: ANET, (Princeton, 1966), P.266;

A.K Grayson, Assyrian and Babylonian Chronicles, (New York 1975), No.20;

Glassner, Mesopotamian Chronicles, No.39.

<sup>(٦٦)</sup> ساكر، قوة آشور، ص ٣٥.

التمثيل، مثل: "إنها تُمنح للصلاة"، وهو نقش عثر عليه في احد التماثيل من لكش، وهناك تمثال آخر يذكر: "قل أيها التمثال لمليكي (الهي)..."، فالتمثال يتحدث حديثا مباشرا إلى الإله<sup>(٥٧)</sup>. لا نعرف إن كان الآشوريون هنا كانت لهم نفس الأفكار فيما يخص التماثيل النذرية، ولكن وجودها في المعبد يعطينا انطبعا إن الأمر هنا لا يختلف كثيرا عما كان يفكر فيه الناس في سومر.

لقد قدمت لنا المنحوتات إشارة إلى وجود الآلهة، وان النحت البارز الذي ناقشناه سابقا الخاص بتقديم القرابين، يظهر فيه صورة اله والهة، ولكن لا نعرف من هم، وان الدليل العماري الذي يشير إلى وجود معبد للربة عشتار، يدل إلى عبادة هذه الربة التي نجهل المعلومات عنها هنا في بلاد آشور. وتظهر في الأشكال الصغيرة المصنوعة من الفخار صورة امرأة وهي تمسك الثدي وهذه إشارة إلى ربة الخصوبة، في مرة واحدة فقط، وعثر على شكل المرأة ومعها الطفل<sup>(٥٨)</sup>. ونحن نعرف في اقل تقدير إن النموذج الأخير شمالي بشكل لافت للانتباه، ويظهر في وقت مبكر في دور العبيد الشمالي (الألف الخامس قبل الميلاد)، فقد عثر في قرية تبة كورا (تقع على بعد ١٥ ميلا شما شرقي الموصل)، إلى نوع من دمي الطين ممثلة على هيئة امرأة تحمل على صدرها طفلا، وفسر المشهد بأنه يمثل الربة الأم<sup>(٥٩)</sup>. هل يمكن أن نفسر التماثيل الصغيرة الفخارية من آشور دلالة إلى الربة الأم (عشتار)؟ لا يمكن الجزم بالأمر، ومع ذلك تبدو المسألة منطقية إلى حد ما.



على الرغم من غياب المشاهد الجنسية في عصر الطبقتين (G-H) إلا إن ذلك لا يمنع من وجود عبادة ذات طقس جنسي<sup>(٦٠)</sup>. وربما كان طقسا تعود جذوره إلى عصور ما قبل التاريخ فمنذ العصر الحجري

<sup>(٥٧)</sup> سيتون لويد، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة: محمد درويش، (بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٨)، ص ١٠٩-١١٠.

<sup>(٥٨)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٩.

<sup>(٥٩)</sup> باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات، ج ١، ص ٢٥٧.

<sup>(٦٠)</sup> اندريه، معابد عشتار القديمة، ص ٣٩.



## قائمة المصادر

## أولاً: المصادر العربية والمصرية

٢٢. مظلوم، طارق عبد الوهاب، "النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث"، بحث ضمن موسوعة: حضارة العراق، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥، ج٣.

٢٣. مورتكات، أنطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان وآخرون، دمشق، بلاط، ١٩٥٠.

٢٤. مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد: مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٥.

## ثانياً: المصادر الأجنبية

25. Black, Jeremy and Others, A Concise Dictionary Of Akkadian, Wiesbaden, 1999.

26. Gadd, C.J., "Inscription Barrel cylinder Of Marduk-Apla-Iddina II", In, Iraq, Vol: 15, Part: 2, 1953

27. Glassner, Jean-Jacques, Mesopotamian Chronicles, Atlanta, 2004

28. Grayson, A.K, Assyrian and Babylonian Chronicles, New York, 1975

29. Kramer, Samuel Noah, "The Sumerian King List", In, Problems Ancient History, Vol: I, The Ancient Near East and Greece, Edition By: Donald Kagan, New York, 1975

30. Labat, René, Manuel D'Epigraphie Akkadienne, Paris, 1999.

31. Meek, Theophile J, "The Middle Assyrian Laws", In: ANET, Princeton, 1966

32. Oppenheim, A. Leo, The Sargon chronicle", In: ANET, (Princeton, 1966)

33. Oppenheim, List Of Date Formulae Of Reign Of Hammurabi, In, ANET, Princeton, 1966

34. Oppenheim, Nabonidus Rise To Power, In, ANET, Princeton, 1966

## ثالثاً: المختصرات

1. ANET= Ancient Near Eastern Texts Relating To The Old Testament.

2. CDA= A Concise Dictionary Of Akkadian.

3. MDA= Manuel D'Epigraphie Akkadienne.



## الدكتور أسامة عدنان في سطور:

■ كاتب وباحث عراقي من مواليد بغداد عام ١٩٧٨.

■ بكالوريوس كلية الآداب/جامعة بغداد ٢٠٠٠.

■ ماجستير في تاريخ العراق والشرق الأدنى القديم من كلية الآداب/جامعة بغداد عن الرسالة الموسومة: بلاد بابل في العصر الاخميني ٥٣٩-٣٣١ قبل الميلاد.

■ دكتوراه في تاريخ العراق والشرق الأدنى القديم من كلية الآداب/جامعة بغداد عن الأطروحة الموسومة: الآلهة في روية الإنسان العراقي القديم-دراسة في الأساطير ٢٠٠٧ (طبعت كتاب تحت عنوان: عصر الآلهة-دراسة في أساطير وادي الرافدين ٢٠٠٩).

١. الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨، ج١

٢. ادزارد، اوتو، "عصر فجر السلالات"، بحث ضمن كتاب: الشرق الأدنى- الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

٣. ادزارد، اوتو، "سلالة أور الثالثة: إمبراطوريتها والدول التي خلفتها"، بحث ضمن كتاب: الشرق الأدنى- الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

٤. الأمين، محمود، قوانين حمورابي صفحة مشرقة في حضارة وادي الرافدين، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧.

٥. اندريه، فالتر، معابد عشتار القديمة في آشور، ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، بغداد: المؤسسة العامة للآثار والتراث، ١٩٨٦.

٦. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، لندن: دار الوراق، ٢٠٠٩، ج١.

٧. بصمه جي، فرج، "تمثال ابن أين انتم الأول في المتحف العراقي"، مجلة سومر، م ١٤، لسنة: ١٩٥٨.

٨. بوتيرو، جان، "الإمبراطورية السامية الأولى"، بحث ضمن كتاب: الشرق الأدنى- الحضارات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٦.

٩. تشايلد، ف. غوردن، ماذا حدث في التاريخ، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة: بلاط، ١٩٥٦.

١٠. جاكوبسن، ثوركلد، "ارض الرافدين"، بحث ضمن كتاب: ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠.

١١. الدباغ، تقي، "الفخار في عصور ما قبل التاريخ"، بحث ضمن موسوعة: حضارة العراق، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥، ج٣.

١٢. رشيد، فوزي، قواعد اللغة السومرية، بغداد: مديرية الثقافة العامة، ١٩٧٢.

١٣. رشيد، فوزي، الشرائع العراقية القديمة، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٩.

١٤. رشيد، فوزي، ترجمات لنصوص سومرية ملكية، بغداد: بلاط، ١٩٨٥.

١٥. زودن، ف. فون، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة: فاروق إسمايل، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٣.

١٦. ساكر، هاري، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩.

١٧. سعيد، مؤيد، "العمارة من عصر فجر السلالات إلى نهاية العصر البابلي الحديث" بحث ضمن موسوعة: حضارة العراق، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥، ج٣.

١٨. الفتان، أحمد مالك، نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٩١.

١٩. كرمير، صموئيل نوح، السومريون: تاريخهم، وحضارتهم، وخصائصهم، ترجمة فيصل الوائلي، الكويت: مطبعة غريب، ١٩٧٢.

٢٠. لويد، سيتون، فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة: محمد درويش، بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٨.

٢١. المحمداوي، زياد عويد سويدان، التطورات السياسية في بلاد الرافدين: العهد الآشوري الوسيط، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٣.